الشاعر والأديب الكوردي پيرەمێرد ..

عمق الفهم وشمولية التصوّر

ـ القسم الثالث ـ

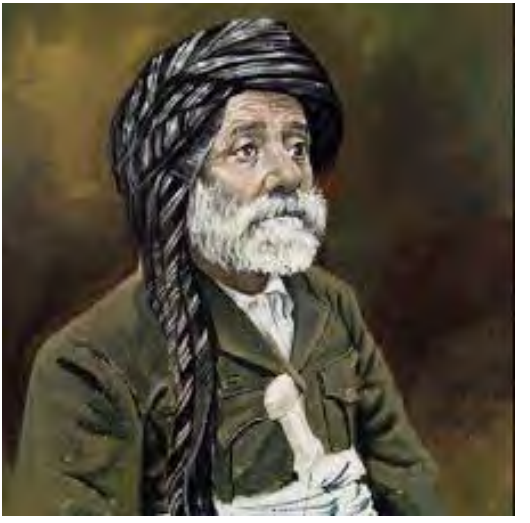

بقلم: عمر إسماعيل رحيم ـــــ نقله إلى العربية: سرهد أحمد

✍ (پيرەمێرد) والنضال الإسلامي

لم يقتصر التزام (پيرەمێرد) بالدين الإسلامي الحنيف على الجانب العقدي والعبادي المجرد فقط، بل كان مناضلاً إسلامياً، ينافح عن الدين، ويدعو إلى الأخذ به شرعة ومنهاجاً . وأخذ ذلك النضال طرائق متعددة، سواء على المستوى الفردي، أو إلى جانب أشخاص آخرين؛ ضمن الجمعيات والهيئات التي شغل عضويتها آنئذ.

وفي هذا السياق النضالي، بذل شاعرنا جهوداً في تعريف المجتمع الكوردي بالإسلام الصحيح، وسعى بجد إلى توطين المعرفة بمقاصد الدين، والتحذير من أضرار العقائد

الوضعية، والحيطة من مخاطر التيارات الإلحادية، مثل: اليسارية، والماركسية، مستخدماً لنجاح هذا المسعى؛ الأدوات الشعرية اللازمة، للوصول إلى أفهام العامة.

ولم يقتصر (پيرەمێرد) في نضاله الإسلامي على نظم القصائد التوعوية، إنّما كان داعماً فعلياً لأيّ مشاريع تنموية، مثل: تشييد المساجد، وبناء المدارس، وإعانة المعوزين.

- **وفيما يلي بيان لأهم الميادين التي خاض فيها (پيرەمێرد) نضاله الإسلامي:**

أوّلاً/ ميدان الدعوة إلى الإسلام:

ولأن (پيرەمێرد) كان مؤمناً، صحيح العقيدة، ذو هدف رسالي، فقد جمع بين الشعور بالمسؤولية الملقاة على عاتقه تجاه الإسلام، وحمل هموم الأمة الكوردية، وحماية هويّتها الدينية. وهذه الثنائية المعنوية الخيّرة، جعلته في عزيمة دائمة، وحركة مكوكية دؤوبة، لتبليغ الناس بالإسلام الصحيح، وتنبيههم من مآلات العادات التي لا تنسجم مع مقاصد الشرع الحنيف، كما كان يرد على الشبهات المثارة حول ثوابت الدين من قبل المغرضين والمناهضين للإسلام، في تلك الحقبة التي عاصرها، خاصة في بواكير ظهور الأفكار الشيوعية.

وقد ذكر الأديب واللغوي الكوردي الراحل (مارف خزندار)، في كتابه (تاريخ الأدب الكوردي)، بأن (پيرەمێرد) وقف وبحزم ضدّ الماركسية، مفنّداً فلسفتها المادية الإلحادية، ومنتقداً سياسات الاتحاد السوفيتي، كونها معادية للإسلام جملة واحدة.

وأشار (خزندار) إلى أن مواقف (پيرەمێرد) جاءت متجلّية في قطعة من (النثر الفني)، نظّمها بعنوان: (المياه السوداء لروسيا الحمراء)، وأصدرها في كرّاس سنة ١٩٤٠، أيْ قبل دخول السوفيت الحرب العالمية الثانية، وهو شكل من أشكال (الأدب السياسي)، المكتوب بلغة أدبية جميلة وجزلة.

والغريب أن هذا العمل الأدبي المتميّز، لم يأت على ذكره أحد؛ في جلّ الموضوعات التي تناولت نتاجات (پيرەمێرد) ، وأهمل إهمالاً تامّاً من قبل الذين كتبوا عن حياته ونتاجاته.. إنْ هذا العمل، وإن جاء بسيطاً من حيث التراكيب التعبيرية، مقارنة بمئات النتاجات، وحتى البحوث المدوّنة في مراحل زمنية لاحقة، ردّاً على المادية الديالكتيكية، وانحرافات السوفيت السياسية، لكن علينا أن لا نغفل قيمته التاريخية، أقلّها أنه يعكس حرص (پيرەمێرد) على الذود عن الإسلام، وحماية عقيدة بني قومه، من طوفان الإلحاد الماركسي.

وتأتي أهمية هذا الكرّاس أيضاً، كون مادته الأدبية السياسية - نقد الشيوعية، وسياسات الاتحاد السوفيتي- من بنات أفكار متعلّم كوردي يقطن منطقة بعيدة جغرافياً، ومعزولة نسبياً، عن مصادر التفاعلات العالمية في تلك الحقبة، وربّما كانت كوردستان آنذاك حديثة

عهد بالأفكار اليسارية والماركسية، التي اجتاحت العالم قبل حوالي ٧٦ عاماً؛ ولاقت رواجاً واسعاً، ووجدت لها عشّاقاً كثيرين.

ولم يكتف (پيرەمێرد) بنقد الفلسفة الماركسية فكريّاً، إنّما أخضع السياسات التي قامت عليها لمشرط التشريح، مستهدفاً بيان مساوئها.

ومن هنا، فهذا النتاج الأدبي مدعاة للتأمّل، ويحمل بين جنباته قيمة تاريخية، ويجب النظر إليه باعتباره وثيقة تراثية يتحتّم المحافظة عليها.

وإلى جانب ذلك كلّه، يعكس هذا النتاج؛ التصوّر السياسي لـ(پيرەمێرد)، ويتيح معرفة ما كان عليه شاعرنا من أفق معرفي فريد، ورؤية خاصة لأحداث عصره.

وعن أسباب إقصاء هذا (النتاج - الكرّاس)، من جملة النتاجات الأدبية والفكريّة لـ (بيرةميرد)، يقول (مارف خزندار): "يمكننا الجزم بأن الشيوعيين لم يكونوا بالمستوى المعرفي والفكري المتقدّم حتى يواجهوا (پيرەمێرد)، وآخرين من أقرانه؛ ممّن كانوا ضدّ سياسات الاتحاد السوفيتي، فعجزوا حتى من خلال كتاباتهم، عن التقليل من تأثير طروحات (پيرەمێرد)، وغيره؛ ممّن كانوا على النهج ذاته، فلجأوا إلى اجتثاث نتاجات (پيرەمێرد)، وكافة النتاجات المشابهة، من المراكز الثقافية الكوردية".

وأنا من جانبي أقول: إن هذا الموقف ليس بالأمر الغريب، فقد سبق أن لجأ الماركسيون، المتنفّذون في الأوساط والمراكز الثقافية الكوردية، إلى هذه السياسة من قبل: سياسة اجتثاث الطروحات المخالفة لأهوائهم.

إن (پيرەمێرد) بوصفه متديّناً وداعيةً إلى الإسلام، فقد واجه لوثة التغريب الفكري، التي كادت موجتها أن تجرف طليعة الشباب الكوردي في ذلك العصر، من خلال تنظميه عدّة قصائد وأشعار وأمثال وحكم، بأسلوب أدبي سهل، وسلسل، متجاوزاً التعابير والمفردات الفلسفية الثقيلة، ومستنداً لدلائل واقعية، وبراهين منطقية، في دحض موضوعات الماركسيين، والملاحدة.

ونحن نتساءل: إذا لم يكن العمل الذي قام به (پيرەمێرد) تديّناً، ودعوة، ودفاعاً عن الإسلام، وذوداً عن الهويّة الأصيلة للمجتمع الكوردي، فماذا يكون إذاً.. ؟ .

وفي جزء من مجموعته الشعرية: (أنين كهل الكهول)، أفرد أبياتاً في إثبات وجود الله، وعظمته في خلق هذا الكون الفسيح، منشداً:

إلهي، أنت الكبير المتعال، قاضي الحاجات

لا شريك لك، الفرد، المنزّه عن الصاحب والمكان

أعطيتني قدرة الفهم، لأفهمك..

فأدركتك على حقيقتك، بلا زيادة ولا نقصان

***

رفعت عيني صوب السماء، فأبصرتها

وقلت: محال أن توجد هذه من غير خالق قدير

معلوم أن أيَّ آلة يصنعها الإنسان

سرعان ما يعتريها العطب والنقصان

لكن ماكنة هذا الليل والنهار

لم تزل تدور، بلا وقودٍ ولا بُخار

لا تحتاجُ إلى تشحيم، ولا يعتريها الصدأ

متماسكة، لا تحتاج إلى إصلاحٍ ولا تشذيب

فهي هكذا مُذ وجدت..

لم يستبدل فيها شيء، وليس لها قطع غيار

تعملُ ليل نهار، بلا كلل

دون أدنى ضجيج أو عطل

لولاك ربّي أنّى يكون هذا

ومن أين يأتي هذا التّنسيق والنظام

وفي المجموعة الشعرية نفسها ، نسج أبياتاً ردّ فيها على المتقولّين بخالقية الطبيعة، مفنّداً حجاجهم. والحقّ أقول: إنّ المطّلع بدقّة على التراث الأدبي والكتابي لـ (پيرەمێرد)، سيكتشف حجم إخلاص هذه الشخصية الفذّة في الدفاع عن العقيدة الإسلامية، وبروزه كساتر صدٍّ بوجه الموجات الأيديولوجية والفكرية التي وصلت كوردستان آنئذ، مثل الأيديولوجيا الماركسية، ومقولات داروين، موظّفاً قدراته الشعرية، في مسعى لتحصين الشباب الكوردي، وتوعية المجتمع الكوردستاني عموماً، من أخطار وتخرصات الوجوديين.

ولتمتّعه بالنباهة والسليقة؛ فقد أخذ (پيرەمێرد) بالحسبان مستوى الوعي لدى الناس، فلجأ - معتمداً على مهاراته اللغوية - إلى مخاطبة العامة بحلو الكلام، وبالمنطق العلمي البسيط، المدعوم بالأدلة المستقاة من البيئة المعاشة.

في اعتقادي أن هذه الأبيات لم تأت لكون الشاعر كان مغرماً بالأدب فقط، إنما هي وليدة تفكير ومعاناة وهموم ذاتية، من جهة الحرص على عدم تيهان شباب الوطن الكوردستاني، ولجهة الشعور بالمسؤولية تجاه العقيدة الإسلامية.

ها هو ذا يقول:

إلهي، أولئك الذين لا يُؤمنون

لم يروا شيئاً قَطُّ، فهم يهرفون

وإلا فلينظروا إلى جِنان الورود

وليتدبّروا فيها بعين العقل والقلب

هذا اللون الجميل لزهرة الالهةرجايى

تحت عدسة أشعة البصيرة

تأمّلوا هذه الصّنعة البديعة

من قال إن هذه من خلق الطبيعة

ولـ(پيرەمێرد) أبيات شعرية مماثلة في مجموعات شعرية أخرى، كما أن الأمثال والحكم - التي نظّمها لنفس الغرض- تضمّ عدّة مقاطع مثنوية، تتّسم بالجمالية، والعمق، وهي جديرة بـ الوقوف عليها والكتابة عنها، ولا يتّسع المجال هنا للاستطراد في عرضها، ومن يرغب في مطالعتها والاستزادة منها عليه الرجوع إلى (مجموعة حكم وأمثال پيرەمێرد) الصادرة في ديوان بعدّة طبعات.

ثانياً/ الإرشاد وإسداء النصيحة:

كان (پيرەمێرد) دائم النصح للمقرّبين منه، وللمحيطين به، على حدّ سواء، مناشداً إياهم التمسّك بالإسلام؛ عقيدة وعبادة، وعدم الحيدة عن الدين قيد شعرة.

وخاض (پيرەمێرد) طيلة حياته؛ النضال في هذا الميدان، التزاماً بالأمر الإلهي: [وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ]، فلم يدّخر إرشاداً، أو يألوا نصحاً تجاه أقرانه، وقومه، عموماً، يذكّرهَم

بأنّ تقدّمهم وتطوّرهم إنّما يأتي من اتّباع تعاليم الدين، على اعتبار أن الدين الإسلامي نظام حياة.

حتى وهو على فراش الموت، لم ينس توصية المقرّبين منه، مشدّداً على التديّن والتمسّك بالدين. وقد كتب (پيرەمێرد) وصية، جرى إعلان مضمونها بعد أن وافته المنية مباشرة، جاء فيها:

1- أوصيكم بعدم الجري وراء المادة.
2- لا تتشبثوا بالدنيا كثيراً.
3- اخدموا قومكم ووطنكم دون مقابل، ما استطعتم.
4- خذوا بأيدي المعوزين.
5- لا تنحرفوا عن مبادئ الدين.
6- عليكم معرفة ربّكم ورسولكم، والتحلّي بالأخلاق الحميدة.
7- أوصيكم بعدم التفريط في المطبعة.
8- لا تهدموا هذه القلندرخانة (ويقصد منزله، الذي كان مقصد الأدباء والشعراء من أقرانه)، فهناك أشخاص يلوذون بها، ولهم عليّ حقّ.
9- واصلوا إصدار الصحيفة، ولتواصل المطبعة عملها، لأنها تقدّم خدمة مستمرة، من ناحية، ومن ناحية أخرى تدرّ ربحاً؛ كنت أصرف منه على جهات عدّة، حاولوا فعل الشيء نفسه.
10- لا تهملوا خدمة مسجد همزة آغا (ويقصد مسجد جدّه لأبيه، والذي كان يرتاده باستمرار)، فهو من ذكريات جدّي، وهو مسجد الزقاق، ومركز للدراسة الدينية، وهو بيت الله، يشهد الله أنني لم أهمل خدمة المسجد منذ عودتي.

وفي الختام يشير (پيرەمێرد) إلى أن هذه الوصية موجّهة إلى الشاب (فائق)، ابن ابنته (رحمة خان)، وإلى الأشخاص الذين كانوا في معيّته باستمرار، خلال حياته.

ثالثاً/ توضيح المسائل الدينية، ونشر الوعي والثقافة الإسلامية:

علاوة على تخصيص (پيرەمێرد) عشرات القصائد والحكم والأمثال لبيان المسائل الدينية، أفرد أيضاً صفحات وزوايا من جريدته طيلة صدورها، للغرض نفسه.

وقد أشار (پيرەمێرد) بنفسه إلى ذلك، إذ يقول: "وحدي وقلمي الكليل نصدر جريدة منذ ثلاثة وعشرين عاماً. وجريدتي فيها سبعة أنواع من المعلومات: علمية، فقهية، أدبية، تاريخية، فلسفية، فكاهية، واجتماعية. وفيها ما يقرب من عشرين ألف بيت من الشعر

وأمثال الأقدمين. وليست عندي كتب ولا مكتبة، وكل ما أكتبه هو من جراب العطار، صادر من حجيرات دماغي، وممّا تعلّمته في الصغر عند أستاذي ملا حسين گوّجه).. ما معناه أنه كتب طيلة ٢٣ عاماً عدّة زوايا صحفية في موضوعات مختلفة، مؤكّداً أن كل ما كتبه كان من وحي أفكاره، وممّا تعلّمه على يد شيخه (الملا حسين كوجة).

ولو تتبعنا بدّقة تلك الزوايا في صحيفة (ژين)، لانبهرنا من حجم الاهتمام الذي أولاه (پيرەمێرد) لتوضيح المسائل الإسلامية.

ففي زاوية ثابتة عنوانها (اجتماعيات)، ناقش (پيرەمێرد) - وفقاً لفهمه العميق، وشمولية تصوّره الإسلامي- مواضيع سياسية وقانونية واجتماعية جمّة، كما حاول فيها تشخيص أدواء المجتمع الكوردستاني، وإيجاد معالجات لها، على قدر استطاعته.

وبحكم خلفيته الثقافية والعلمية الذاتية، يتّضح أن جهود (بيرميرد) في هذا المضمار، نابعة عن قناعة إسلامية راسخة.

كما جاءت زاويته الفلسفية، في الصحيفة نفسها، مشبعة بتفسير الظواهر الكونية، وغنيّة في بيان فلسفة التوحيد، والإخلاق، في الإسلام، وأثرها في ضبط سلوك أفراد المجتمع.

وكذلك زاويته الأدبية، خصّصها لإحياء الأشعار والقصائد التراثية الكوردية القديمة، أو أبيات شعرية مترجمة من لغات أخرى، وجلّها أشعار دينية وعرفانية.

كما أن زواية (تاريخ وأشخاص) بدت زاخرة بذكر أسماء علماء دين، وقامات إسلامية باسقة.

ولم تقلّ الزواية الفقهية أهمية عن الزوايا الأخرى، إذ بذل (پيرەمێرد) جهوداً في توضيح نخبة من المسائل الإسلامية، مع الإشارة إلى شخصيات قدّمت خدمات جليلة للإنسانية جمعاء .

رابعاً/ الاهتمام بقضايا العالم الإسلامي، والتفاعل معها، خاصة القضية الفلسطينية:

جمع (پيرەمێرد) بين الإخلاص لدينه، وبين الاهتمام بقضايا الأمّة الإسلامية، والتفاعل معها. إذ كان على دراية بالخطوب النازلة، والنوائب الواقعة، في العالم الإسلامي، لا سيما فلسطين، واحتلالها من قبل الصهاينة. وقد تجلّى ذلك في قصائده ومقالاته.

-وأدناه أبيات أنشدها من أجل فلسطين:

إذا اتّبعنا الدّين الإسلامي الحنيف

يتحتمّ علينا جميعاً أن نبكي فلسطين

ومـن يسانـد الصهـاينة الغاصبين

نـأمل مـن الله أن يـزهـق روحـــه

وفي مقطوعة شعرية أخرى، يعلن موقفه الصريح المساند للقضية الفلسـطينية، ويظهـر حنقاً شديداً تجاه اليهود، قائلاً:

تحرّك اليهود الأقذار أهل الترحال

يشعلون الفتن والحروب بين بني البـشر

هـم يـتـفـاخـرون، ولا يـدركـون

أن لا أحد يحبّهم، وأنهم بالسياسة يتلاعبون

مــن يـدعمـون اليـهـود الآن

غـرضـهـم الـفـوز بالـرِّهـــان

***

لم تبق دولة إلا آوتهم ورعتهم

واختبرت اليهود، وجرّبتهم

لا خاصية نافعة ظهرت فيهم

فحنقوا عليهم، وطـردوهـم

***

إذا قـمنـا للـجهـاد، ملبّين نـداء الـديـن

واسترجعنا ذكرى الكوردي صلاح الدين

وضحينا بالأنفس، كأمس، لأجل الدين

لانـفـكّ عـنّـا الأقــذار والـمتحرّشون

ويحضـ رني في هذا المقام أن أذكر واقعـة حقيقيـة ذات صـلة، عاصرهـا شخصـياً الـدكتور (محسن عبد الحميد)، وحدّثني بها خلال زيارة له يوم ٢٠١٨/٤/١١، اتّخذها دليلاً شاخصـاً على اهتمام (پيرەمێرد) بقضايا الأمّة الإسلامية، وتفاعله معها، حيـث قـال: "مـا بـين عـامي ١٩٤٨- ١٩٤٩ ، كنت تلميذاً في الصف السادس الابتدائي، أتذكّر حضور وفد رفيع من العلماء

إلى السليمانية، ضم كلاً من الشيخ (محمد بشير الإبراهيمي)، عالم الدين والسياسي الجزائري المعروف، والشيخ (أمجد الزهاوي)، عالم الدين والشخصية الكوردية العراقية، والشيخ (محمد محمود الصواف)، المراقب العام للإخوان المسلمين في العراق، ونزل الوفد في الجامع الكبير (جامع كاك أحمد الشيخ)، للاجتماع بنخبة من العلماء الكورد، بينهم الأديب والشاعر (پيرەمێرد)، وذهبت رفقة شقيقي الأكبر (نظام الدين عبد الحميد) للقاء الوفد، إذ كان مدعواً هو الآخر، وحين رأيت (پيرەمێرد) بين الحضور، وكنت متلهّفاً للقائه، تحرّكت ببطء نحوه حتى وصلت لعنده، وجلست بجانبه، فشاهدت (بشير الإبراهيمي) يلقي كلمة حول الأوضاع المأساوية في الجزائر تحت حكم الاستعمار الفرنسي، والتفتّ إلى (پيرەمێرد) وقد تبدّلت سحنته، وهو يتمتم بكلمات تفيض بالأسى على أحوال الجزائر ومسلميها."

خامساً/ المشاركة في الجمعيات والنشاطات الإسلامية:

عاش (پيرەمێرد) واقعاً اجتماعياً وسياسياً؛ تزاحمت فيه منتديات فكرية وتجمعات ثقافية وأدبية، لم تخرج عن الدائرة الإسلامية الجامعة، حتى تلك الجمعيات التي نشأت على أساس الأيديولوجيا القومية، كانت ذات صبغة دينية وأهداف دعوية، يسري في عروق القائمين عليها حب خدمة الإسلام أيضاً، وهذا ليس بمستغرب على الإطلاق للأسباب التالية:

١- المؤسسون لتلك المنظمات، غالبيتهم من المتدينين، علماء دين أو شيوخ طرق صوفية، أو ينحدرون من عائلات إسلامية.

٢- الكوردية والكوردايتي، يعني خدمة الشعب الكوردي، والسعي لوصوله الى حقوقه الطبيعية المشروعة التي وهبها الله إيّاه، حاله حال بقيّة الشعوب والأقوام الأخرى، ويصار الى ذلك بتنمية لغته وتراثه وأدبه القومي.

ولم يكن الفكر القومي الكوردي في بواكير نشأته، قد تحوّل بعد الى إيديولوجيا مستقلة، أو بديلاً عن العقيدة والدين، إنّما كان يتدفّق من مشاعر إسلامية طاهرة، فكلّما كان الشخص متديّناً عميق الفكر، كان أكثر إحساساً بالمسؤولية تجاه القضية الكوردية. لذلك نرى مع بدايات تفكّك الخلافة العثمانية، وظهور الحركة القومية الطورانية التركية، كيف تشكّلت جمعيات كوردية على أيدي شخصيات علمائية لمناهضة الأوضاع المختلّة، والدفاع عن الخلافة باعتبارها العروة الجامعة للأمّة، ورمز وحدة المسلمين على اختلاف أعراقهم وأجناسهم.

ومن أولى الجمعيات الكوردية التي تأسّست حينها، جماعة (اتحاد وترقي الكورد) برئاسة (الشيخ عبد القادر الشيخ عبيد الله الشمزيني) - من مشايخ الطرق الصوفية - وكان أعضاء الجمعية وإداريّوها من الشخصيات المعروفة بالعلم والتديّن، منهم الشاعر والأديب (پيرەمێرد) مدار بحثنا هذا، والعالم الجليل (سعيد النورسي) الملّقب بـ(بديع الزمان).

وكان (پيرەمێرد) في الوقت نفسه عضواً بجمعية (الاتحاد المحمدي) طبقاً للوثيقة المنشورة في العدد الـ٧٥ من مجلة (ولقان)، لسان حال الجمعية، وجاء اسمه في التسلسل الـ٢٥، بالشكل التالي: (مدرسيندن توفيق أفندي).

كما كان بديع الزمان سعيد النورسي أيضاً أحد الأعضاء المبرّزين في جمعية (الاتحاد المحمدي)، وفاعلاً نشطاً فيها.

وللتذكير في هذا المقام، أن إحدى الاتّهامات التي كانت موجّهة للشيخ النورسي أثناء اعتقاله من قبل السلطات، هي انضمامه لتلك الجمعية، وأثناء المرافعة، وقف مدافعاً عن نفسه قائلاً: "حين سمعت أن نخبة في تلك المنطقة التأمت تحت اسم (الاتحاد المحمّدي)، انتابني الشك للوهلة الأولى، أن يكون الغرض من تشكيل هذه الجمعية القيام بأنشطة مسيئة، مستغلّة هذا الاسم، لكن تبيّن لي لاحقاً أن المنظّمين لهذه الجمعية هم أشخاص مشهود لهم بالإخلاص وأصحاب فضل، وليست لهم غايات سياسية مبيّتة من وراء تشكيل الجماعة، هدفهم الوحيد إحياء سنّة الرسول محمد، وتعريف الناس بها. فكّرت كثيراً بأن الانضمام إليها، والعمل تحت اسمها حقّ مشروع لكلّ مسلم، ولا مكان لأيّ احتكار أو قصر الانتماء على أشخاص محدّدين. سألت نفسي كيف لمتديّن مثلي الانتماء لعدّة جماعات فكرية في آن واحد، في الوقت الذي لا يجوز تجزئة مقاصد الإسلام. وعليه، رأيت نفسي مرغماً على الانضمام فقط لجمعية الاتحاد المحمدي".

وأضاف: "يتوجب عليّ المبادرة لتعريفكم بهذه الجمعية التي كنت عضواً فيها"، مشيراً لأسماء أعضائها، ثم أردف قائلاً: "دائرتها واسعة جدّاً، بحيث أن بإمكانها أن تضمّ ٤٠٠ مليون شخص، وإعلامها يمثّل كلّ صحيفة تعمل لرفعة كلمة الله، كما أنّها مركز يغطّي الأرض كلّها، وأينما وجدت مدرسة أو مسجد أو خانقاه للتعليم وإيصال رسالة الإسلام، ولتأدية العبودية لله والأذكار، فهي مركز هذه الجمعية.. إنّ جمعيةً على هذه الشاكلة، لا بدّ أن رسول العالمين محمد صلى الله عليه وسلم هو رئيسها.. وأن اتجاهها التربوي يفرض على جميع منتسبيها الكفاح لتربية ذواتهم، وتزكية نفوسهم، حتى يكونوا قدوات صادقين.. كما أن نظام هذه الجمعية، وتنظيمها، مستمدّ من وحي الله القرآن، وسنّة الرسول محمد

ونهجه، وسيف ميدان معركتها هي الأدلة المنطقية والمطمئنة، لأن نجاحها الحقيقي يأتي عن طريق الإقناع العقلي، وليس بالإرغام الماديّ الحسّي".

وتابع: "إن السبيل الأمثل، والوحيد، لاكتشاف الحقيقة، والوصول إليها، هو طريق المحبّة والأخلاق الفاضلة، لأن تسعة أعشار الدين الإسلامي هي تلك المراتب والمبادئ المذكورة، والواحدة المتبقية هي الشؤون السياسية، وقد فوّضنا مسؤولية إدارتها لمسؤولينا".

لقد اتّضح ممّا سبق ذكره، أن المقصد الأسمى لـ (بيره ميرد) الشاعر والأديب والمناضل المتديّن، في الانضمام لهذه الجمعيات، هو بذل نشاط الدفاع عن الشريعة الإسلامية، وترسيخها، والذود عن السنّة النبوية المطهّرة، والقيام بمهمة الحفاظ على وحدة المسلمين وتقويتها، والتمكين للخلافة العثمانية، بإجراء الإصلاحات الدستورية.

هذه هو الوجه الحقيقي لـ (بيرەمیرد) الأديب والمفكر والمناضل، ولكني لا أدري لم طمس هذا الجانب المضيء من حياة ونضال هذه الشخصية الكوردية، كما حصل مع رسالته التي أشرنا إليها (المياه السوداء لروسيا الحمراء)، فلم يكتب عنها كل أولئك الذين كتبوا عن (پیرەمێرد) ولو بمجرد إشارة.. إلا أن يكون ذلك ممّا لم ينسجم مع أفكارهم، ولم ترتح إليه نفوسهم، فآثروا التغاضي عنه، وطمسه.. وهذا هو منتهى التعصّب الأعمى، والتفكير الأيديولوجي المقيت.

سادساً/ تعاون (پیرەمێرد) مع العالم الكوردي المعروف (سعيد النورسي):

مدّ (پیرەمێرد) جسور التواصل والتعاون مع العالم الكوردي الشيخ (سعيد النورسي) الملّقب بـ(بديع الزمان)، فالتزما سويّة طريق النضال المشترك في الميدانين الإسلامي والكورديايتي، فكانا عضوين بارزين معاً في جماعة (اتحاد وترّقي الكورد)، وجميعة (الاتحاد المحمدي)، كما سبق ذكره.

وتأكيداً لوجود مثل هذه العلاقة والتواصل بين الرجلين، نعرض أدناه بعض الإثباتات التاريخية:

الإثبات الأول:

نشر (پیرەمێرد) سنة ١٩٤٢، في العدد (٦٦١) من صحيفته (ژين)، مقالاً في زاوية (تاريخ وأشخاص)، بعنوان (بديع الزمان الكوردي)، قال فيه: "كنت في اسطنبول، أتردّد بين فينة وأخرى على منتدى ديار بكر، حيث معظم رواده من الكورد، وقرأت ذات مرّة إعلاناً عن قدوم شخص من (وان) يدعى الملا سعيد، ولقبه بديع الزمان، ويعقد مجلساً في مدرسة الفاتح، وبإمكان الراغبين المشاركة في مجلسه العلمي لمدّة أسبوع وطرح الأسئلة عليه".

وأضاف پيرەمێرد: "حفّـز هـذا الإعـلان الكثـيرين مـن نسـاء ورجـال للتوجّـه إلى مدرسـة الفاتح، إمّا لمشـاهدة الشـيخ سـعيد، أو لطـرح الأسـئلة عليـه، فكـانوا يتعجّبـون مـن هـذا الكوردي، حليق الذقن، ذو الشارب المفتول، والذي يعتمر عمامة مطرّزة ملفوفـة، ويرتـدي ثوباً متداخلاً، وشوالاً فضفاضاً".

وأكّد (پيرەمێرد) في مقاله المطول أنـه ذهـب رفقـة صـديقه (خليـل الخيّـالي) إلى حيـث مجلس الشيخ سعيد النورسي، حيث قعدا معاً قبالته، وما إن رآهما الشـيخ حتّـى قـام مـن مكانه، واتّجه صوبهما، فسلّم، ثم توجّه بالسؤال إلى الخيّالي، وكانت تربطهما مـودة قديمـة، قائلاً: "أ ليس صاحبك هـو السـليماني توفيـق بـك (ويقصـد بيرمـيرد)، فـرد الخيّـالي: وكيـف عرفت؟ فأجاب النورسي: قلبـي أخبرني بذلك". واستطرد (پيرەمێـرد): "وضـع الشـيخ سـعيد النورسي يده اليمنى على كتفي، وصافحني قائلاً: هذه مصافحة كوردية".

وأشار (پيرەمێرد) إلى أنه جلس رفقة الخيّالي مع الشيخ النورسي، ودخلا في حوار تعـارف، ومنذ تلك اللحظة أصبحا رفيقين، وتعمّقت العلاقة الأخوية بينهما.

وفي جزء آخر من المقال، تناول (پيرەمێرد) بشيء من التفصيل حادثـة اعتقـال السـلطات للشـيخ بـديع الزمـان، والاتّهامـات التـي وجّهـت لـه بشـأن انضـمامه لجمعيـة (الاتحـاد المحمدي) الآنفة الذكر.

كما تطرّق في المقال إلى توتّر العلاقة بين (كمال أتاتورك) والشيخ النورسي، ما دفع الأخـير إلى الاعتزال، والـذهاب إلى منطقـة جبليـة مـدة ٤٠ يومـاً، وبعـدها عـثر عليـه (پيرەمێـرد) شخصياً، وأعاده إلى منطقة (أرضروم)، لعند (خالد بك)؛ قائد إحدى الثـورات الكورديـة إلى جانب (سيد عبد القادر)، وهو شخصية كوردية ذائعة الصـيت آنـذاك، وهنـاك مـرّت عـلى النورسي أحداث كثيرة أيضاً.

وختم (پيرەمێرد) مقاله عن بديع الزمان قائلاً: "هذه الشخصيّة نجم لامع في سماء الأمّـة الكوردية، وأنوي ترجمة آثاره شيئاً فشيئاً، ونشرها في ژين".

الإثبات الثاني:

واقعـة عاشـها (پيرەمێـرد)، وأوردهـا في مقـال بصـحيفته (ژيـن)، وحوّلهـا فـيما بعـد إلى قصيدة، حيث ذكر أنه في إحدى الليالي وهو قابع مع الشيخ النورسي في زنزانتين منفـردتين، بينما تجمعهما هموم نصرة الدين والدفاع عن الأرض وخدمة الناس، فإذا بالشيخ النـورسي يرى في المنام العالم والصوفي الإسلامي الكوردي المعروف (كاك أحمد الشيخ)، وهـو يبشّـره بقرب نيله و(پيرەمێرد) الحرية، وأوصاه بإبلاغ صاحبه بذلك.

وكان (پيرەمێرد) ذو اعتقاد راسخ بمقام الراحل (كاك احمد الشيخ)، باعتباره صوفياً عارفاً بالله، وشخصية إصلاحية كانت لها مكانتها في أوساط خواصّ السليمانية وعوامّهم، لـذا فهـو متيقن بكراماته، ومن ثمّ تجلّيه للشيخ بديع الزمان في المنام.

وقد تحدّث (پيرەمێرد)، في مقدّمة كتابه بعنوان (مناقب كاك أحمد الشيخ)، عـن نفسـه مع رفيقه الشيخ النورسي، قائلاً: "كنت مسجوناً مع الملا سـعيد، الملقـب ببـديع الزمـان، في معتقل بلوك بكر آغا، أثناء مرحلة الاحتلال (ويقصد الانقلاب الذي قادتـه جماعـة الاتحـاد والترقي ضد الخلافة العثمانية)، وفقا لما أسموه قانون مناهضة السلطات، وعقوبته الإعدام شنقاً، وكنت فاقداً الوعي مـن شـدة الإعيـاء، فـإذا بالشـيخ النـورسي ينـاديني مـن الزنزانـة المجاورة، وهو يقول: لا تخف لن يقتلوننا، قالها لي كاك أحمد الشـيخ.. ففهمـت متيقنـاً أن الملا سعيد قد رأى في المنام كاك أحمد الشيخ. وفعلاً تحقّقت الرؤيا، إذ تمّ إطلاق سراحنـا". وعلى أيّ حال، بعد مرور ٣٠ سنة على هذه الواقعة، قام (پيرەمێـرد) بتحويلهـا إلى قصـيدة بعنوان (نةعرةى ديوانه= صيحة الولهان)، ونشــرها سـنة ١٩٤١ في العـدد ٨٨٣ بصـحيفته (ژين)، حيث يقول في مطلعها:

كاك أحمد الشيخ، حبيب الله

الكثيـرون نالهم منك الخيـر

أنـا أحبّـك أكثر من الآخرين

أنـت مَنْ تبتغي عزّة قومك

في السجن حيث اعتقلونـا

ونصبوا لنـا أعـواد المشانـق

أنـت زرت بـديـع الـزمـان

بـشّـرتـه بـالحيـاة والبقـاء

قلت: لن تموتوا، وستعيشون

وستستردون حرية قومكم

الإثبات الثالث:

من الإثباتات الأخرى الجليّة على علاقة الصداقة والعمل التي جمعت بين (پيرەمێرد) و(النورسي) رحمهما الله، ما ذكره شاعرنا شخصياً في زاوية نشرها بصحيفته (ژين) سنة ١٩٤٩ العدد ٩٥٣، عن نشاطاتهما سوية في الثورات والحركات الشعبية آنذاك. حيث أورد: "أنا وبديع الزمان الملا سعيد كنّا في الثورة القومية الكوردية بأرضروم مع خالد بك ويوسف ضياء وكمال والدكتور فؤاد، فأصدرت إدارة الأحكام العرفية في اسطنبول بحقّنا حكماً بالإعدام". ويتبيّن هنا أن (پيرەمێرد) كان مطارداً، ولم يكن معتقلاً، والحكم الصادر ضدّه جاء غيابياً.

وبالإضافة الى الإثباتات الآنفة الذكر، هناك أخريات نوردها بالاستمداد من جملة مقالات نشرها (پيرەمێرد) في أعداد مختلفة من جريدته (ژين)، نعرض بعضها كالتالي:

١- صحيفة ژين، العدد (٦٦٢) السنة الـ١٥، آذار ١٩٤٢، الصفحة (٢-٣)، وتحدّث فيه عن حادثة إرسال السلطات للشيخ سعيد النورسي الى طبيب نفسي للكشف عليه، لمعرفة ما إذا كان يعاني مشاكل عقلية أم لا. وبعد مناقشات، ردّ الطبيب متسائلاً باستغراب: "إذا كان هذا الشخص مجنوناً، فمن العاقل إذاً..؟!.

٢- ژين، العدد (٦٦٤) السنة الـ١٥، نيسان ١٩٤٢، الصفحة ٣، يستشهد في زاوية صحفية ببعض مقولات بديع الزمان.

٣- ژين، العدد (٦٧٢) السنة الـ١٨، حزيران ١٩٤٣، الصفحة ٢، يتحدّث (پيرەمێرد) في زاوية، عن حوار دار بين النورسي وشفيق باشا، ناظر الضبطية – ضابط التوقيف.

٤- ژين، العدد (٨٠٠)، السنة الـ١٩، آب ١٩٤٥، الصفحة ٢، زاوية بعنوان (بديع الزمان الكوردي)، يقول: "كان بديع الزمان الملا سعيد صديقي، أنا الذي أوصلته إلى رفاقه خالد بك ويوسف ضياء، وآخرون، هم الآن شهداء، ذكرتهم في مرثية".

٥- ژين، العدد (٨٦٠)، السنة الـ٢٠، شباط ١٩٤٧، الصفحة ٢، زاوية بعنوان (في التصوّف)، يتحدّث عن حالة روحية تنتاب المتصوّفين العارفين بالله، تسمّى الفناء في الحضرة الإلهية، ويضرب في ذلك مثلاً ببديع الزمان.

٦- ژين، العدد (٩٣٨)، السنة الـ٢٢، تشرين الأول ١٩٤٨، الصفحة ٣، زاوية صحفية تحدّث فيها عن ذكاء النورسي، وقوّة حفظه، ويصفه بالخارق في عصره.

٧- ژين، العدد (٩٧٤)، السنة الـ٢٤، آب ١٩٤٩، الصفحة ٤، مقال بعنوان (ذكرى رجل من رجال الله)، ويشير فيها إلى مشاركة النورسي مع الآلاف من المتطوّعين الكورد في الحرب إ لى جانب الدولة العثمانية ضد اليونان، وعودته من المعركة منتصراً.

٨- ژين، العدد (٩٨٦)، السنة الـ٢٤، تشرين الأول١٩٤٩، الصفحة الأولى، مقال يتحدّث فيه عن الدور الفعّال والمؤثّر للنورسي في حرب اليونان.

سابعاً/ انتقاد الماركسية والفكر اليساري:

إنطلاقاً من إيمانه بالله الواحد الأحد، وقناعته الراسخة بصحة العقيدة الإسلامية، واجه (پيرەمێرد) - بقصائده ونتاجاته الأدبية- كافة الأفكار والعقائد الوضعية المناهضة للإسلام، خاصة الشيوعية، والتي وصلت في العصر الذي عاشه شاعرنا الى كوردستان، وتسببت بتخريب عقول الآلاف من الشباب الكورد، ومن هنا وجّه انتقادات شديدة إلى الفكر الماركسي، والسياسة السوفيتية، وكان يكتب ويقف بالضد منها، كما سبق ذكره آنفاً.. وأدناه أبيات أخرى، حذّر فيها شاعرنا من خطورة الماركسية والفكر اليساري:

التكبّر يُؤدّي الى الهلاك والسقوط

وانظر الى هتلر.. هكذا هي الدُّنيا

النّاس لم تعد لهم طاقة بالحرُوب

والدّنيا أصبحت مُخضّبة بالدِّماء

لا أدري لماذا الموت رخيص هكذا

والذهاب إلى أحضان الموت يُشبه الأعراس

وحده الإسلام طريق السّلامة

(لا تلقوا) أمر الله وآيته

***

الله وحده وضع الرّفعة والضّعة

التحزّب والتحرُّر، اليوم، هي الرائجة

يسعون لحرفنا عن قبلتنا

يُسَوِّقون دروس الشيوعية بيننا❐